باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترحيبا في المعارف وانهاضا لهمم وتشحيذا للاذهان . ولكن الهمة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فالمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره مغلبا كان الشرف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستعار على المطولة

خبر يتعلق بنا ولم نسمع به

حضرة الاستاذين الكبيرين صاحبي المقتطف الاغر

بين العالمين الفاضلين عيسى افندي اسكندر المعلوف وسليمان بك ابي عز الدين اختلاف رأي في تحقيق بعض نقاط تاريخية تتعلق بحرب القيسية واليمنية وبحرب ابراهيم باشا المصري والدروز وستدرك هذين الفاضلين يفرغان جعبة ادلتهما كلٌّ في تأييد رأيهِ فيكون من وراء هذه المباحثة فوائد للقراء لا بأس لها ولتمحص حوادث يجمل تثبيت الوجه الاصح فيها

وللمؤرخ البحاثة المجتهد عيسى افندي اسكندر المعلوف تدقيقات لطيفة في التاريخ يقدرها ادباء العصر قدرها ومباحث غزيرة المادة له فيها فضل على تاريخ سورية لا سيما ما تعلق منهُ باصول الاهالي وما كنهم وتنقلاتهم وانساب الأُسر المشهورة ووقائعها مما اصبح اخصائيًّا فيهِ وقد يأتي يوم يكون فيهِ حجةً يستشهد بهِ

لهذا ولشربهِ في التدقيق وجب ان تدقق عليهِ ولا سيما في خبر غريب اوردهُ عنا في الجزء الاخير من المقتطف

فقد ذكر في اثناء ايراده الشواهد على هجرة اليمنيين من لبنان الى دمشق والغوطة وحوران ان منا أُسرة في جرمانا (من قرى الغوطة على مسافة ساعة من دمشق) قد تركت الامارة والتحقت بعامة الناس . والمفهوم من كلامهِ ان هذه الأُسرة هاجرت من لبنان الى جرمانا بسبب حروب القيسية واليمنية . وهذه اول مرة سمعنا فيها انهُ يوجد في جرمانا اسرة اصلها من الارسلانيين

ولو سأل عيسى افندي اسكندر المعلوف جميع اهالي قضاء الشوف من جميع الطوائف وبنوع اخص اهالي غرب لبنان — وطننا الخاص — الذين يحفظون اخبارنا القديمة والجديدة بدقائقها ويحفظونها بجزئياتها لاننا ما كنون بينهم يعلمون كل شيء عنا ويروون بالتواتر عن آبائهم واجدادهم سير آبائنا واجدادنا لم يقدر ان يسمع هذا الخبر من احد على الاطلاق

كما انهُ لا يوجد في تاريخ عائلتنا ولا في نسبنا ولا في تواريخ لبنان المعروفة ادنى اشارة الى ان منا بيتاً هاجر في الماضي الى جرمانا مع انهُ يوجد في نسبنا اخبار كثيرة من هذا القبيل مثل ان الامير فلاناً هاجر الى مصر وان الامير فلاناً اختار محل كذا لسكنهِ وتفاصيل اقل شأناً من هذه مثل ان الامير فلاناً بنى سنة كذا داره في القرية الفلانية لا بل سنة كذا بنى المقعد الفلاني في داره الى غير ذلك . فلو كان ارتحل منا احد وسكن جرمانا او غيرها من الغوطة لكان ورد ذلك في تاريخنا الخاص على الاقل

ونحن نسأل ايضاً الفاضل المحقق سليمان بك ابا عز الدين مناظرهُ في الموضوع اسمع من احد او قرأ في كتاب قصة كهذه ؟

قد يوجد في لبنان وفي سورية اسم ارسلان — وفي مصر وتركيا — ومن يسمى بارسلان الولي الكبير الشيخ رسلان (نخفف عن ارسلان واسم عائلتنا في الجبل لا يلفظ الاَّ بالتخفيف اي رسلان) الذي مزارهُ على باب دمشق وليس بقرابة لنا . وكذلك في حمص اسرة وجيهة هم بنو رسلان اسمهم شهير وليسوا بانسبائنا . ومن الدروز عائلة براس المتن اسمهم بيت ابي رسلان وليسوا منا . ولما كان اصل قرية بعبدا ملكاً لاجدادنا فقد كان اناس من بعبدا وهم مسيحيون يسمون اولادهم باسم ارسلان وبدعي انهم ليسوا باقاربنا . فاخشى ان يكون عيسى افندي سمع باسم كهذا في جرمانا فظنهُ منا مع انهُ يكون اسماً على اسم كما يقال

ثم اني اعرف جميع وجوه جرمانا وقد زرت هذه القرية مراراً وما سمعت ان فيها احداً اصلهُ منا . بقي هناك امرٌ لعلهُ هو مصدر هذا الوهم

عند ما انكسر اليمنية في واقعة عين دارة كان رؤساؤهم يومئذٍ المتولون كبر المقاومة للقيسية هم الامراء آل علم الدين . وقد قُتل اكثرهم في تلك الوقعة وانهزم فلّهم لاحقاً بدمشق منذ نحو مائتي سنة . وكان من اعقاب هؤلاء الامراء رجل يقال لهُ الامير سليمان مقيم بدمشق لم يبق لهُ شيء من الامارة ولا من الوجاهة سوى كونهِ من آل علم

الدين . ولما وقعت الواقعة بين الامير بشير الشهابي واليزبكية والنكدية (لا اتذكر الآن تاريخ السنة وليس امامي كتب اراجع فيها) وخرج هؤلاء من الجبل وذهبوا الى دمشق يشكون امرهم الى واليها — وهذه الحادثة بعد وقعة عين دارة بنحو مائة سنة — يقال ان الشيخ علي العماد والد خطار بك العماد الشهير تعرَّف الى الامير المجهول سليمان علم الدين هذا وقال له : افلا تسمع مني يا امير سليمان وتأخذك الى الجبل ونجعلك اميراً مكان الامير بشير ؟ فقال له الامير سليمان : هيهات تلك امة قد خلت

قد سمعت هذه الرواية من فم المرحوم الشيخ محمد حماده شيخ عقّال طائفة الدروز وكان احفظ من عرفت في عصره واوعى الناس لتواريخ جبل لبنان لاسيما وقائع الدروز وكان اذا تحدث عن الوقائع التي جرت من ايام الامير فخر الدين المعني الى زماننا هذا سردها باسانيدها وايّدها بادلتها ووصفها وصفاً يخيل لك انك شاهدها . واني لآسف من امر واحد هو كونهُ لم يحرر الاَّ القليل من معلوماتهِ وان الروايات القيمة الثمينة التي كان يرويها لا يحفظ الناس بعدهُ منها الاَّ نبذاً غير متسلسلة

وقد كنت سألت المرحوم الشيخ محمداً هل يعلم للامير سليمان هذا اعقاباً . فقال لي : يقال ان من ذريته اناساً سروجية في السوق المعروفة بالسروجية التي تتصل بشارع السنجقدار في دمشق . وسمعت بعد ذلك من غيره ان في سوق السروجية اناساً اصلهم من الدروز

وسنة ١٩٠٩ كنت قائم مقام قضاء الشوف وزارني في بعقلين مركز القضاء الصيني شاب من دمشق اسمهُ عز الدين افندي ابن شيخ السروجية وكان معهُ صديق لي من وجوه الميدان بدمشق هو المرحوم عطا حباب . وكنت سمعت باسم عز الدين ابن شيخ السروجية وقرأت لهُ مقالات في جريدة المقتبس وهو من الادباء الالبّاء المعدودين في الشام . فسألتهُ عن اصل تسميته فلحظت انهُ يسمع من اهله ان سلفهم من آل علم الدين وانهُ ينبغي تحقيق ذلك . وربما كان مقصدهُ من زيارة بعقلين هو الوقوف على هذا الامر فاخذتهُ الى الشيخ محمد حماده رحمهُ الله وانبأتهُ بالقضية . فاعاد الشيخ الرواية التي كان يرويها عن علي العماد وقال لهُ : ان كنت انت من ذرية الامير سليمان هذا فانت من آل علم الدين . ويظهر ان عز الدين افندي كان قد سمع من والديه ما يؤيد ذلك وسمع من الناس بالتواتر ان اصلهم من ذلك البيت فعاد من عندي وهو مصمم على انهُ امير من بني علم الدين وصار يضع امضاءهُ « عز الدين علم الدين » وبلغني انهُ كان اذا ناقشوهُ في هذا النسب في مجالس ادباء الشام يستظهر بي على اثبات دعواهُ . واتذكر مرة انهُ كتب

الي كتاباً وامضى عليه قائلاً « ابن عمكم عز الدين علم الدين » وهذا باعتبار ان الامراء آل علم الدين كانوا ذوي قربانا وانهم يمنية مثلنا

والحقيقة ان الارسلانيين وآل علم الدين ذوو قربى بعضهم لبعض ولكن ليست الاسرتان اسرة واحدة . اما كون الاسرتين يمانيتين فلا يدل ذلك مطلقاً على الوحدة في النسب وان كان بعض الناس يرون ان الارومة واحدة

ثم ان الارسلانيين وان كانوا يمانيين لم يشهدوا واقعة عين دارة في صفوف اليمنية وذلك لان الامير يوسف الارسلاني صاحب الغربين كان تولى امارة لبنان كلهِ عندما توفي الامير احمد المعني بلا عقب في صلبهِ واقام بدار الامارة دير القمر وقد ايدتهُ الدولة العثمانية في منصبهِ . ولما كان آل معن قيسيين وعصبيةُ قيس قوية في الشوف لم ينقادوا برضاهم الى حكم الامير يوسف ارسلان وما زالوا حتى اتوا بالامير حيدر الشهابي حفيد الامير احمد المعني من جهة ابنتهِ وجعلوهُ اميراً على الجبل وذلك لكون الشهابيين امراء حاميا مثل المعنيين . ويقال ان القيسيين توصلوا بالرشوة حينئذٍ الى اقناع الوالي التركي الذي كان بعيدا فتخلّى عن الامير يوسف الارسلاني ورضي بامارة الامير حيدر الشهابي وهذا مبدأ حكم آل شهاب في جبل لبنان . واما اليمنيون وعلى رأسهم آل علم الدين فبدلاً من ان ينصروا الامير يوسف الارسلاني الذي هو منهم خذلوهُ او خذلهُ بعضهم ذهاباً مع آل علم الدين الذين نافسوا جدنا الامير يوسف وطلبوا الامارة لانفسهم . فكانت عاقبة التخاذل ان الامير يوسف انصرف من دير القمر الى بيتهِ في عين عنوب بدون ان يلي الامارة عملهُ ابن علم الدين بل كان وليها ابن شهاب القيسي . فحقد الامير يوسف من جراء ذلك على آل علم الدين ولم يبتهُ يوم عين دارة غير متحيز لاحد . فلما دارت الدائرة على اليمنية في عين دارة اكتفى الامير حيدر الشهابي المذكور وهو امير البلاد ورئيس القيسية اذ ذاك باقتطاع الغرب الاعلى — عاليه وبيصور وعيتات وسوق الغرب الخ — من اقطاع الارسلانيين واقطعهُ الشيخ محمد تلحوق — جد المشايخ التلاحقة — مكافأة لهُ على خدمتهِ ونصرتهِ لهُ في يوم عين دارة . وبقيت مقاطعة الشويفات في يدنا . لم يسلم الامير يوسف من ضرر واقعة عين دارة لكنهُ كان نصف مصيبة

ولما كان البحث متعلقاً بتاريخ لبنان ووقائع القيسية واليمنية لم نجد بأساً من الحاق هذه النبذة بالمباحثة الدائرة بين الفاضلين الآنفي الذكر والحديث شجون

لوزان شكيب ارسلان